هيجل
وفلسفة الجمال

١٧٧٠ - ١٨٣١

هيجل وفلسفة الجمال
(١٧٧٠ - ١٨٣١)

فى السابع والعشرين من أغسطس ١٧٧٠ ولد « جورج فيلهيلم فريدريش هيجل » بمدينة شتوتجارت بألمانيا ، لأب محدود الثقافة .. وأشرفت الأم على تعليمه بالمدرسة اللاتينية التى نبغ فيها ، حتى أنه قرأ – وهو بعد فى السادسة عشرة – « أرسطو » و« شيشرون » و« يوربيدس » وترجم بعض مسرحيات « سوفوكليس » والتحق « هيجل » بالمعهد الدينى ، وأنفق فيه خمس سنوات ، ولم يقتنع فيها لا بالبروتستانتية ولا بالدراسات اللاهوتية .. ثم عين محاضرًا بجامعة « بينا » وأصدر مع الفيلسوف « شيلنج » الجريدة الفلسفية النقدية .. وقصفت الحملة الفرنسية المدينة عام ١٨٠٦ فغادرها « هيجل » آسفاً ، ولكنه عين بجامعة برلين ،

وظل ينشر فيها فلسفته ويعلمها للطلبة والأساتذة معاً ، حتى أصيب بمرض الكوليرا ، وتوفى فى الرابع عشر من نوفمبر عام ١٨٣١ بعد أن عاش نصف حياته فى نهاية القرن الثامن عشر ، وعاش نصفها الآخر فى بداية القرن التاسع عشر ، حياة مليئة بفكر هذا المفكر .

فبعد أن استخلص « هيجل » فى البداية « ظاهريات الروح » وبعد أن وضع « المنطق » فى ثلاثة أجزاء ضخمة ، وبعد أن صاغ « أصول فلسفة القانون » نشر دروسه فى « تاريخ الفلسفة » و« فلسفة التاريخ » و« فلسفة الدين » و« فلسفة الجمال » .. بحيث يحتكم دائماً إلى العقل الذى يحكمه دائماً ، من خلال « الديالكتيك » أو الجدل فى حالاته الثلاث : الإثبات ، والنفى ، ونفى النفى .. ثم انتهى إلى مذهبه المثالى القائم على « الأخلاق » أو « علم الأخلاق » .

والأخلاق هى قبول الفرد التخلى عن كل شىء لكى يعيش فى ظل قوانين الأخلاق العرفية متى وأينما وجد ، طالما أنه عضو فى مجموع .. ذلك أن الأنا الإنسانية تتكون من انتمائها إلى المجموعة البشرية ، وهى جزء له إرادة ، ولكنه يذوب بإرادته فى الكل حتى يتوافق مع المصير الإنسانى كاملا .

وتاريخ الفلسفة – فى مذهب هيجل المثالى الأخلاق – ليس مجموعة الآراء المختلفة والمذاهب المتباينة للمفكرين

المختلفى النزعات ، ولكنه حلقة متصلة لإبانة كليات العقل ، ذلك أن العقل هو حاكم العالم وجوهره ، لأنه القوة اللامتناهية التى تحرك المادة اللامتناهية ..

وهو بهذا يرتفع بالفلسفة إلى مستوى العلم ، على الرغم من أنها تنفرد من بين العلوم جميعاً بأن تاريخها جزء منها ، لأن الفلسفة وتاريخ الفلسفة غايتهما واحدة ، هى العقل فى حالة فكر ، أليست الحياة ذاتها هى حياة الفكر ؟ والتاريخ الإنسانى كله هو تاريخ الفكر ، مرتبطاً بتطور الشعوب الحرة ، أو تطور الشعوب بالحرية ؟

فإذا كان « هيجل » بمثاليته قد رفض البرهان على وجود الله ، إذا كان مصدره الحاجة إلى قوة خارجية ، اقتناعاً عقلياً منه بأن وجود الله مطلق وغير مرهون بشىء أو بدعوى أو بحجة ، فقد قرر بمثاليته أيضاً أن الدين ، وهو الظاهرة غير المعزولة عن التاريخ والحضارة ، إحدى حالات ثلاث تدرك بها الروح ذاتها ، شأن الفلسفة والفن .

أما فلسفة الجمال عند « هيجل » فتعنى الفن الجميل ، وليس الشيء الجميل .. والجمال عنده حدث وفعل وليس صفة وكيفاً .. فالتمثال من الممكن أن يكون إنساناً ، ومن الممكن أن يتحقق الإنسان فى التصوير وفى الموسيقى وفى الشعر وفى الأدب .. الجمال إذن هو الإنسان ، والفن الجميل

رسالة تعبر عن روح الشعب فى إطار روح العصر وليس لصالح فئة معينة ، ولا بمعزل عن الزمان والمكان .. والإبداع الفنى مزيج من العقل الواعى الجمعى والإلهام الذاتى الوضعى ، لدرجة الاتحاد العضوى أو التوحيد بينهما ، بحيث يستحيل الجانب العقلى إلى إحساس خالص ، على خلاف « شيلر » الذى كان يقول بأن الفن هو التوفيق بين المحسوس والمعقول .. فإذا كان الجمال غاية مطلقة ، فهو لاينقسم بحال إلى واقع خالص وصورة خالصة ، وإن كان هو المظهر الحسى للفكرة أو المظهر الشكلى للحياة .. والفن – الذى هو الجمال – فكر مطلق ، شأن الدين والفلسفة .

وهكذا تكتمل ثلاثية « هيجل » المنطقية أو « ظاهريات الروح » فلسفة الدين ، وفلسفة الفلسفة ، وفلسفة الجمال ، وإن أضاف إليها فلسفة القانون ، وفلسفة التاريخ ، وفلسفة تاريخ الفلسفة .

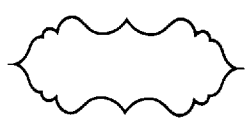

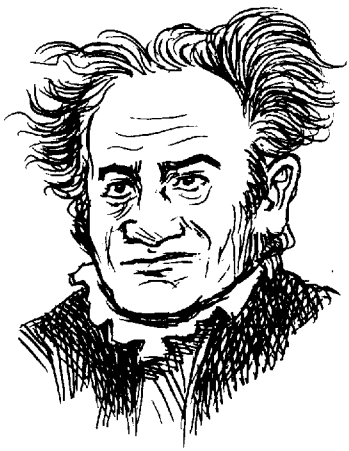

شوبنهاور
وفلسفة الإرادة

١٧٨٨ - ١٨٦٠

شوبنهاور وفلسفة الإرادة
(١٧٨٨ - ١٨٦٠)

فى الحادى والعشرين من سبتمبر عام ١٨٦٠ توفى الفيلسوف الألمانى « آرثر شوبنهاور » وكان قد ولد فى مدينة دانتزيج عام ١٧٨٨ لأسرة عريقة تعمل بالتجارة .. وانتقل إلى باريس وهو فى التاسعة من عمره ، ثم التحق بمدرسة داخلية بإنجلترا وهو فى الخامسة عشرة ، فتعلق بالدراسة الأكاديمية وبالحياة الأدبية من خلال « صالون أمه الأدبى » الذى كان تؤمه الصفوة من المثقفين .. وتأثر بالرومانسيين ، ومع هذا فقد اهتم بدراسته العلمية حتى أصبح محاضرًا فى برلين ، ووضع أهم كتبه « العالم كإرادة وفكرة » وهو فى الثلاثين من عمره .. وعاش فى أواخر أيامه - كما عاش طوال حياته - وحيدًا بغير زوجة ولا ولد ، مما دفعه إلى الإيمان بالنزعة الروحية ، وبالسحر أيضاً .

أما مذهب « شوبنهاور » أو مبدؤه الواحد الشامل الذى تتفرع منه المبادئ الفلسفية الأخرى المتضمنة لفلسفته الرئيسية فينصبّ على الإرادة الإنسانية الواحدة التى لازمان لها ، مستمدة من إرادة الله ، وإنِ اتَّحَدَتْ مع إرادة العالم بأسْرِهِ .. والإرادة هى وجود الإنسان الظاهرى ، وهى الدافع لأفعاله وحركاته وتحركاته .. وهى بهذا المعنى ليست غاية فى ذاتها ، ولكنها وسيلة لتحقيق الرضا وسط عالم مملوء بالشرور ، وحياة مفعمة بالتشاؤم ، وتنتهى حتماً بالموت .. ولأن الإرادة لاتفضى بالضرورة إلى السعادة المنشودة فإنها تسبب الألم الذى يقل كلما قلت ممارسة الإرادة .. ولهذا يتفق « شوبنهاور » مع النزعة الصوفية فى زهدها للحياة ، بما فيها من إرادة مصحوبة برغبات ، طلباً للسعادة الدنيوية ، وطمعاً فى نعيم الآخرة .. وإن كان الزهد فى ذاته فعلاً إراديًّا قد يصل إلى تعذيب الذات والإبطال التام للإرادة الفردية .. فالعالم – كما يظهر لشوبنهاور – هو تجسيد للإرادة فقط ، وباستسلامها تمحى كل ظواهرها .. ولكنه يعود ليؤكد أن الإرادة حقيقة قائمة بذاتها ، وماهية للأشياء جميعاً .

والغريب بعد هذا كله أن يضع « شوبنهاور » نظريته التى تقول بأن الإرادة هى المعرفة الأولى ، وهى أعلى مقاماً من المعرفة ومن العقل الخالص بالتالى .. ولهذا فإن الصراع بين

الإرادة والعقل ينتهى إمَّا بالسعادة أو بالشقاء ، تبعاً لمقدار الصواب والخطأ .

إن فلسفة « شوبنهاور » تثق فى الإنسان وتعتبره الركيزة المحورية التى يدور حولها الكون كله .. وهو عندما يتكلم عن الإنسان إنما يعنى الإنسان الفرد ، وليس الإنسان على الإطلاق ، بحيث يصبح الفرد ظاهرة من ظواهر الإرادة .. وهنا تتحول الإرادة إلى مبدأ لا عقلى ، أو مضاد قوى للعقل القاصر دائماً – مهما بلغ من رجاحة – عن الوصول إلى المطلق .. وهى إحالة إلى فكرة القضاء على الفردية أو الشخصية المتفرّدة إذ لاتمايز واضحاً وحادًّا بين فرد وآخر ، أو بين شخص وآخر ..

أما تشاؤمية « شوبنهاور » المفرطة التى ترى أن العالم وجد ليعكر صفونا ، وأن الحياة لاغاية لها ، فقد أثرت فى جيل بأكمله من تلامذته ، فيما عدا تلميذه الفذ « نيتشه » الذى اكتشف – برغم تشاؤميته هو الآخر – أن الحياة هى الغاية فى ذاتها ، وليست الغاية هى الحياة .. كما يختلف مع أستاذه الذى يعلق قيمة الحياة على مقدار ما تمنحه لنا من سعادة أو شقاء ، لأنه يرى أن الحياة هى القيمة التى تقوم بها السعادة أو الشقاء ، تؤكدها كقيمة فى حد ذاتها الأخلاق ، وتدحضها اللاأخلاق ، أو الخير والشر .. وبينما ينكر « شوبنهاور » إرادة

الحياة ، ينتصر لها « نيتشة » وغيره من فلاسفة القرن التاسع عشر ثم قرننا العشرين .

لقد بنى « شوبنهاور » مذهبه على الواقع وليس من نسج الخيال ، وهو إذ يمجد « قوة الإرادة » ينحنى فى الوقت نفسه لإنكار الذات .. ولذلك اصطبغت فلسفته بالصبغة الإنسانية ، ففيها من العقل قدر ما فيها من الوجدان ، وفيها من الحدس بقدر ما فيها من الحس والإحساس .. وهو عندما يصور الحياة بظلاله الداكنة إنما يدعونا لتلوين حياتنا بالوردى من الألوان ، وعندما يغلق أبواب السعادة بمفاتيحه الحديدية إنما يحفزنا إلى فتحها بقوة إرادتنا وبإرادة الحياة .

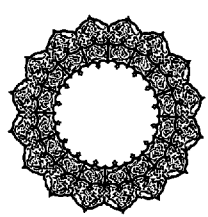

الطهطاوى
وفلسفة الحضارة

١٨٠١ - ١٨٧٣

الطهطـاوى وفلسفـة الحضـــارة
(١٨٠١ - ١٨٧٣)

فى يوم الثلاثاء ٢٧ مايو ١٨٧٣ ، توفى بالقاهرة رفاعة رافع الطهطاوى ، وكان قد ولد فى طهطا عام ١٨٠١ سليلاً للطاهرة فاطمة الزهراء بنت الرسول الكريم . حفظ القرآن بمساعدة والده الذى أوفده - برغم حاجته - إلى الأزهر عام ١٨١٧ ، حيث أتم الفتى رفاعة تعليمه بعد خمس سنوات ، فتولى التدريس فيه إلى أن اختير على رأس بعثة « محمد على » الموفدة إلى فرنسا عام ١٨٢٦ ، ولخمس سنوات أخرى ، فتعلم الفرنسية وترجم إلى العربية أكثر من عشرين كتاباً فى التاريخ ، والجغرافيا ، والأدب ، والشعر ، والسياسة ، والعلوم ، والهندسة ، والطب . وسجل ملاحظاته فى العلم والمعرفة والحكمة ، والتى تشمل حضارة الغرب ، آن ذاك ،

فى كتابه الضخم « تخليص الإبريز فى تلخيص باريز » الذى نُشر لأول مرة عام ١٨٣٤ ، والذى نبه فيه الشرق إلى اليقظة والنهوض ، ودعا فيه إلى إنشاء « مدرسة الألسن » التى أنشئت بالفعل عام ١٨٣٥ ، وعُرفت باسم « مدرسة المترجمين » لتعلم اللغات الأجنبية ، وترجمة ما من شأنه أن يلخص « حضارة أُمة ونقلها إلى أمتنا » لتغذى بها حضارتها الضائعة ، وقد كانت يوماً هى « الحضارة الأم » .

لم يصدر رفاعة الطهطاوى عن عقدة نقص بعد مشاهداته لحضارة الغرب ، ومطالعاته فى مآثرها ، ولم يصدر عن عقدة استعلاء لإدراكه بأن هذه الحضارة ما هى إلا ميراث لحضارة أُمته ، فمازال يقارن بين ابن خلدون ومونتسكيو ، وبين الفارابى ودى ساسى ، ولكنه جمع بين حضارة الغرب المتقدمة ومفاخر حضارة العرب القديمة ، ولذلك عنى بإحياء التراث القديم مثلما عنى بترجمة مآثر الغرب ، تحقيقاً للنهضة الفكرية ، ودفعاً لحركة البعث الجديد

ولكن الطهطاوى حُورب ، فما إن تولى الخديو عباس حتى ألغى مدرسة الألسن ، وأبعده إلى السودان حيث عُين ناظرًا لمدرسة ابتدائية أنشأها بنفسه لتكون نواة لنشر التعليم ، وليبدأ من جديد رحلته فى الارتقاء بالبشر أينما كانوا ، وكلما أتيحت له الفرصة ، إلى أن تولى الخديو سعيد ، فأعاده إلى

مصر وعينه ناظرًا للمدرسة الحربية ، وعندما تولى الخديو إسماعيل أعاد ديوان المدارس ، وعهد إلى رفاعة بافتتاح المدارس الجديدة ، ومن بينها مدرسة الألسن .

وكان « رفاعة الطهطاوى » أول من دعا إلى تعليم المرأة قبل « قاسم أمين » ، صاحب الدعوة نفسها المؤثرة والشهيرة معاً . وكان الطهطاوى أول من أطلق – خاصة فى كتابه « المرشد الأمين فى تعليم البنات والبنين » من منظلق الحرية – دعوة الود والتفاهم المشترك بين الرجل والمرأة فى العمل ، وفى علاقتهما الزوجية التى ينبغى أن تتسم بحسن العِشْرة ، والاهتمام بتربية الأبناء فى جو صالح وصحى ، آخِذًا بنظم التربية الحديثة فى الغرب ، وتطبيقاً – أولاً وأخيرًا – للشريعة الإسلامية السمحة ، ذات النظرة الاجتماعية ، دوماً فى كل الأوطان ، ولكل العصور .. وحرية « الطهطاوى » هى قرينة المساواة والعدالة ، وقد قسمها إلى خمسة أقسام : حرية طبيعية ، كحق الإنسان فى الماء والهواء والأكل والشراب ، وحرية سلوكية تستهدف مكارم الأخلاق ، وحرية دينية فى اختيار العقيدة ، وحرية مدنية فى تطبيق القوانين ، وحرية سياسية فى الرأى والتعبير .

وكما كان « الطهطاوى » مترجماً مبدعاً فى اختياره وتناوله – وليس مجرد ناقل – وكما كان « موسوعيًّا » فى كتاباته المختلفة – وليس مجرد رَحَّالة – كان مؤرخاً عالماً يستند إلى

الوقائع ، ويرجع إلى الكشوف الأثرية .. وهو أول مؤرخ مصرى عرف تاريخ مصر القديم ، وآمن بأمجاد هذا التاريخ ، ولم يكتف بالكشف عن هذه الحقبة الحضارية الأصيلة فى تاريخنا ، بل أرَّخَ للفتح العربى ، ولصاحب الدعوة الإسلامية عليه الصلاة والسلام .

لقد كان رائد الفكر المصرى الحديث « رفاعة رافع الطهطاوى » معلماً لأُمَّةٍ ، وباعثاً لنهضةٍ ، وَبَشيرًا للتقدم .

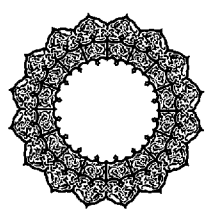

ستيوارت مل
والفلسفة النفعية

١٨٠٦ - ١٨٧٣

ستيوارت مـــل والفلسفة النفعية
(١٨٠٦ - ١٨٧٣)

ولد « جون ستيوارت مل » فى العشرين من مايو عام ١٨٠٦ بلندن ، وتوفى فى الثامن من مايو أيضاً ، ولكن فى أفينيون الفرنسية عام ١٨٧٣ .. تتلمذ على اثنين من كبار مفكرى عصره ووطنه : والده « جيمس مل » والمصلح « جيرى بنتام » وَإِنْ عَلَّمَ نفسه بنفسه عن طريق الكتب التى شغف بها مبكرًا ، والتهمها منذ الصغر .

بدأ – فى مذهبه النفعى – بالحرية الفردية والسعادة الفردية والنظرة الأنانية ، وانتهى إلى التبشير بالحرية الجماعية والسعادة الجماعية والنظرة الغيرية ، منطلقاً مما هو كائن « الرغبة » إلى ما ينبغى أن يكون « تحقيق هذه الرغبة » فالمنفعة الشخصية هى التى تدفع الإنسان إلى إفادة غيره ، ومن السذاجة توقع

إقدام الآخرين على فِعْلٍ لايحقق لهم نفعاً ، حتى الغيرية ، هى فى الحقيقة أنانية مُقَنَّعَة ، وما يبدو فى نظر الناس فعلا مجردًا غالباً ما يكون مَرَدُّهُ حب الذات ، وتلك خلاصة فلسفته الأخلاقية . تلك الفلسفة التجريبية الحسية التى تتطبع بطابع العلم ، وتقوم على مناهجه القياسية ، تماماً كالعلوم الطبيعية فى دراسة الظواهر بالملاحظة الدقيقة ، والاستدلال المنطقى ، والاستنباط العقلى ، والاستقراء التجريبى ، والتحليل الموضوعى ، ذلك أن الصواب والخطأ ، والخير والشر ، والواجب والإلزام ، حالات جزئية مكتسبة وليست طبيعية عامة يُولد بها الإنسان .

ولكن « مل » استطاع أن يتخلص نتيجة لأزمته العاطفية والنفسية (١٨٢٦ – ١٨٣٢) من الفلسفة الإنجليزية القائمة على الحسية المادية ، وتأثر بالفلسفة الألمانية القائمة على النزعة الوجدانية ، فتطلع إلى الكمال الروحى ، واعتبره غاية السلوك الإنسانى ، فالخير ينبغى أن يكون لذاته ، والشر مرفوض لذاته أيضاً . وهكذا يُمْكِنُ الفعلُ الخيِّرُ أن يحقق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس ، وتجنب الشر يزيد من فرص السعادة ، بغض النظر عن إعاقة مصلحة أو تحقيق أخرى ، وبغض النظر عن إثارة ألم أو إشباع لذة ، وتلك خلاصة اتجاهه المثالى ، ذلك الاتجاه الذى يوازن بين المصلحة

الشخصية ومصالح الآخرين ، تطبيقاً لمبدأ « المسيح » عليه السلام « أحب جارك كما تحب نفسك » .

وانطلاقاً من هذا التبادل النفعى فى المصالح وفى الحب بين إنسان وآخر دافع « مل » عن المرأة بوصفها إنساناً ، تحقيقاً للمساواة بينها وبين الرجل ، على أساس أنها مساواة نفعية أيضاً ، فالحب والزواج والأمومة والرعاية والعمل ، أخذ وعطاء لاينبغى أن يستفيد أحد أطرافها دون أن يفيد الآخر ، وهكذا جاء انتصار « مل » للمرأة ونضاله فى سبيل تحريرها ، انتصارًا للحرية التى عشقها ودافع عنها حتى آخر العمر .

ولم يكتف « مل » بتطوير نفعية الإنجليز التقليدية ، بعد تطعيمها بمثالية الألمان الرومانتيكية ، وإنما طالب الإنسان المتحضر بالبطولة . والبطولة عنده هى التضحية فى سبيل الآخرين دون تحقيق مصلحة شخصية أو منفعة ذاتية ، بحيث يمكن أن تصل هذه التضحية فى درجاتها العليا والأسمى إلى الاستشهاد ، أفضل الفضائل جميعاً ، كما جاء فى رسالة « محمد » عليه الصلاة والسلام .

ويرى « مل » فى بطولته المنشودة أساساً لمشكلة الجبر والاختيار ، وحسماً لها ، فإذا كان « ديفيد هيوم » يقول إن الشعور بالحرية خداع ذاتى ، مؤكداً أن الإنسان مُجْبَرٌ وليس مُخَيَّرًا ، فإن « مل » اعترف بجبرية محدودة فى مقابل حرية إرادة ، وإن كانت مقيدة ، مُفَرِّقاً بين حرية السلوك وحرية

الرغبات ، فالسلوك يخضع للعادات ، فى حين تخضع عاداتنا لرغباتنا . وهكذا تجنب القول بالجبر المطلق ، والقضاء والقدر دون أن ينزلق فى القول بحرية الإرادة الكاملة ، فالإنسان يختار بحرية فى حالات كثيرة ، وخاصة عندما يميز بين الخير والشر ، وهو ليس مجبرًا فى كل الأحوال ، وخاصة عندما يفاضل بين أن يكون أو لايكون ، وتلك هى فلسفة هذا المفكر « جون ستيوارت مل » .

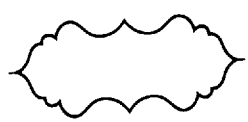

وليم جيمس..
وفلسفة الحياة

١٨٤٢ - ١٩١٠

وليم جيمس .. وفلسفة الحياة
(١٨٤٢ - ١٩١٠)

فى العشرين من عمره ، كوّن وليم جيمس فلسفته فى المنهج ، وأسس نظريته فى المعرفة ، وسجل رأيه فى الأخلاق ، ووضع مبادئ علم النفس ، وبعد سنوات أقام أول معمل لعلم النفس التجريبى ، حيث كان يدرس فيه علم النفس الفسيولوجى .

ولد جيمس فى الحادى عشر من يناير عام ١٨٤٢ فى أسرة متدينة وثرية ، كثيرة التنقل والإقامة فى دول أوربا ، مما اضطره إلى الالتحاق بمدارس لندن ، وباريس ، وبولونيا ، وجنيف ، حتى عاد إلى مسقط رأسه نيويورك حيث درس التشريح وعلم وظائف الأعضاء ، ثم الطب بجامعة هارفارد ..

وفيها عُيِّنَ بعد حصوله على الدكتوراه مدرساً لعلم وظائف الأعضاء ، ثم للتاريخ الطبيعى ، ثم للتشريح المقارن ، ثم للفسيولوجيا ، فأستاذاً للفلسفة .

أصيب وليم جيمس بأزمات صحية ونفسية حادة ، منها : الوسوسة ، والوهم ، والشك ، والخشية ، والخوف ، إلى أن تزوج وهو فى السادسة والثلاثين ليشفى من أمراضه ، ويتفرغ لأبحاثه الفلسفية ، وإلقاء محاضراته وإصدار كتبه ، وأهمها « مبادئ علم النفس » ، و« أحاديث سيكولوجية » و« إرادة الاعتقاد » و« صنوف التجربة الدينية » ، و« براجماتزم » ، و« بعض مشاكل الفلسفة » و« مقالات فى التجريبية الأصيلة » و« الكون المتعدد » و« معنى الصدق » .

وظل جيمس يحاضر ويكتب ويقرأ حتى توفى فى السادس والعشرين من أغسطس عام ١٩١٠ ، وتقوم فلسفة جيمس النفعية أو البراجماتية على الجمع بين الفلسفة التجريبية والفلسفة العقلية ، لسد أوجه النقص فى كل منهما ، لأن الإنسان لايمكن أن يكون حسًّا خالصاً أو عقلاً خالصاً ، ولايمكن أن نفرض عليه الاختيار بين التجريبيين الذين يفكرون فى قضايا الدين والإيمان ، والعقلانيين الذين يؤمنون بالمبادئ الثابتة وحدها .

ولذلك يحدد جيمس فلسفته بأنها منهج وليست مذهباً ، وهو منهج ينتقل من البحث النظرى التأملى المجرد إلى البحث العلمى التجريبى المحدد . هذا البحث العلمى التجريبى هو الذى استخدمه فى بناء علم النفس ، وفى إخضاعه للتجارب المعملية . وخاصة فيما يتعلق بعلم النفس الفسيولوجى .

المنهج النفعى إذن هو استخلاص كل ما هو نافع من المناهج والمذاهب والنظريات جميعاً ، واتباعه وتطبيقه بالعقل وبالتجارب ، فالإنسان فى حاجة إلى الأفكار المحسوسة مثلما هو فى حاجة إلى الحقائق الملموسة ، وعلى هذا فإن النفس أو الذات أو الروح ليست مشاعر وأحاسيس ومدارك فحسب ، فهى أعضاء وأجزاء وشرايين أيضاً ، ومن هنا التعامل معها بالعقل وبالعلم معاً ، أو بالفكر والمادة جميعاً .

وقد يساء فهم البراجماتية أو النفعية ، فيظن أنها سلوك يستهدف المصلحة الشخصية والمصالح المادية ، ولكنها فى الحقيقة طريقة محكمة للمعرفة ، والحياة تقوم على الصدق العقلى واليقين العلمى ، إيماناً بهما معاً ، والاعتماد عليهما فى الوقت نفسه .

بهذا المنطق وعلى هذا النحو ، طبق وليم جيمس منهجه البراجماتى على الوجود والمعرفة والدين والأخلاق والإرادة

الإنسانية ، رافضاً فى كل أبحاثه ودراساته المثول للاتجاه المثالى – الألمانى بخاصة – وتغليب الاتجاه الواقعى ، وإن لم يكن واقعيًّا بالمعنى الكامل والمباشر .

هذا فى الوقت الذى يعد فيه ، وليم جيمس ، المصدر الأول لفلاسفة الواقعية الجديدة ، والواقعية النقدية ، فى عصرنا الحديث .

نيتشـــــه ..
وفلسفة القــوة

١٨٤٤ - ١٩٠٠

نيتشه .. وفلسفة القوة
(١٨٤٤ - ١٩٠٠)

قبل حصوله على درجة الدكتوراه ، وعلى الجنيسة السويسرية ، عُين فريدريك نيتشه أستاذاً لفقه اللغة والآداب الكلاسيكية بجامعة بازل .. ولكنه سرعان ما ضاق بالتدريس ، ربما لأسباب صحية ، فقد ضعف بصره ووهن جسده ، وأصبحت تعاوده نوبات صداع حادة ، وآلام جسمانية متعددة ، ومع هذا كرس نفسه للكتابة حتى أصيب بانهيار عقلى وبدنى قبل رحيله باثنى عشر عاماً ، فى الخامس والعشرين من أغسطس عام ١٩٠٠ ، وكان قد ولد قبل هذا التاريخ بست وخمسين سنة ، وبالتحديد فى الخامس عشر من أكتوبر عام ١٨٤٤ ببلدة ريكن البروسية ، فى أسرتين

بروتستانتيتين ، فهو ابن لكاهن ، وحفيد لكاهن ، ومع هذا لم يكن متديناً على الإطلاق .

ونتيجة لعبقريته وجنونه فى الوقت نفسه ، وضع نيتشه أربعة عشر مؤلفاً ، أبرزها : ميلاد المأساة من روح الموسيقى (١٨٧٢) . أمور إنسانية (١٨٧٨) . هكذا تكلم زرادشت (١٨٨٣) . بمعزل عن الخير والشر (١٨٨٥) . أصل نشأة الأخلاق (١٨٨٧) .. وأهمها : إرادة القوة (١٨٨٨) .

فهو يرى أن إرادة القوة هى أكثر الدوافع الإنسانية ، وأن ما يريده الإنسان هو أن يكون أقوى وأسمى من واقعه ومن الوجود كله ، بالتغلب على حالات اليأس والقهر والضعف التى تواجهه وتعترضه ، سعياً للوصول إلى الكمال ، ولأن يصبح خالقاً بدوره وليس مجرد مخلوق .

وبرغم عدم تدينه ، فإن نيتشه كان فيلسوفاً ومصلحاً أخلاقيًّا ، يدعو إلى تحرر الإنسان من الانتقام والعقاب والسيطرة أو الشر ، وصولاً إلى الخير ، ممثلاً فى الفضائل والروحانيات ، والتسامى بالعواطف ، وإنجاز الأعمال العظيمة ، حتى « تصبح الحياة على الأرض جديرة بأن نحياها » . ويرى نيتشه أن كل نظام أخلاقى يستهدف الحد من

الفوضى والانحلال ، لابد له من قواعد يضعها ، وقيود يفرضها ، وقوانين يطبقها ، برغم ما فى ذلك من تحكم واستبداد ضد الطبيعة والعقل .

والقيم العقلية والأخلاقية تقوم إذن على فكرة الحقيقة ، تلك الفكرة التى يرى نيتشه – على العكس من كل الفلاسفة السابقين عليه – أنها ليست مطلقة ، كما هو شائع حتى الآن ، لأنها جزء من الحياة ، والجزء لايمكن أن يكون بأى حال مطلقاً ، وعلى هذا فإن تلك القيم لايمكن أن تكون بدورها ثابتة ، لأنها تصبح متقلبة مع الحياة فى تغيرها وصيرورتها .

فإذا كانت الحقيقة خاضعة للنافع فى الحياة فإن وسائل المعرفة التى يستهدف بها بلوغ الحقيقة ، سوف تخضع بدورها للحياة . وهكذا يتضح أن أصل المعرفة والمنطق ، ليس هو الرغبة فى المعرفة خالصة أو المنطق مجردًا ، وما ينطبق على المعرفة والمنطق ينطبق بالتالى على كل مبادئهما .

ويؤدى نقد العقل ، على هذا النحو ، إلى نقد الميتافيزيقا فى الفلسفة التقليدية ، وخاصة فكرة الجوهر التى تضفى على الكون صفة الثبات ، وتعكس على الإنسان موضوع الذات .. وهنا ينقض نيتشه على مقولة ديكارت « أنا أفكر ، إذن أنا موجود » وتتفق معه فى ذلك كل المذاهب الوضعية المنطقية الحديثة .

أحب نيتشه موسيقى « فاجنر » لما فيها من قوة ، وأعجب بفلسفة « شوبنهاور » لتأكيدها على الإرادة ، واستوحى منهما معاً فكرته عن « قوة الإرادة » ، ومع هذا نَقَدَهُمَا وهاجَمَهُمَا ، فى محاولة واعية منه للتفوق عليهما .

أما هو فكان تأثيره واضحاً على الوجوديين والنفسانيين والعبثيين ، فضلاً عن شيلر ورلكه وشبنجلر وتوماس مان ومالرو .

وكما كتب نيتشه فى مطلع حياته « ميلاد المأساة من روح الموسيقى » ليمجد فاجنر ، كتب ريتشارد شتراوس قصيدًا سيمفونيًّا عن « زارادشت » ليمجد نيتشه .. ذلك العبقرى المجنون .

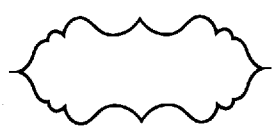

محمد عبده
وفلسفة الهداية

١٨٤٥ - ١٩٠٥

محمد عبده وفلسفة الهداية
(١٨٤٥ - ١٩٠٥)

ولد فى نفس اليوم وفى نفس الشهر اللذين توفى فيهما ، الحادى عشر من يوليو ، والفرق بين سنة الميلاد ١٨٤٥ وسنة الوفاة ١٩٠٥ ، ستون عاماً هى عمره العريض .

ابن عصره ، وطليعة جيله ، ورائد أمته ، شأن القائد الملهم ، والعالم البصير ، والمثقف المستنير ، إنه الأستاذ الإمام « محمد عبده » باعث نهضتنا ، ومصلح حياتنا ، ومثبت عقيدتنا . ولد « محمد عبده » بقرية حصة شبشير بالغربية ، ثم انتقل إلى قرية « محلة نصر » بالبحيرة .. علّمه والده القراءة والكتابة بعد أن أعفاه من العمل فى الحقل مع أخويه ، ثم عهد به إلى أحد المشايخ ليحفظه القرآن الكريم ، فلما أتم حفظه بعد

سنتين ، عنى بتجويده فى المسجد الأحمدى ، وتزوج محمد عبده فى السادسة عشرة من عمره حتى لاينشغل عن العلم والدين ، والتحق بالأزهر ، دون أن يهمل الحساب والهندسة والطبيعة والكيمياء ، وبصفة خاصة على يدى جمال الدين الأفغانى بمجرد وصوله إلى مصر .

أخذ الإمام محمد عبده يكتب فى الصحف والثورة الأولى على الأبواب . فقصر مقالاته على الدعوة إلى التعليم وإصلاحه ، حتى إنه طالب الزعيم أحمد عرابى بالاهتمام بالتربية والتعليم قبل التركيز على الثورة والسلطان ، فَعِلْمُ الأمة هو الكفيل برد حقوقها والحفاظ على روحها ، فلما فشلت الثورة العرابية نفى إلى بيروت . فلم ينقطع عن التدريس ، وانتهز الفرصة لبلورة آرائه فى إصلاح الأمة من منطلق التعليم ، حتى إنه اختلف مع أستاذه الأفغانى فى أسلوب التطبيق ، فبينما يرى الأفغانى خلاص الأمة فى السياسة والثورة ، لايرى محمد عبده الإصلاح إلا فى التعليم ، ولايثق فى إصلاح إلا به .

عمل محمد عبده مضطرًّا بالقضاء ، فتعلم – بحب – اللغة الفرنسية ، وقرأ بشغف كتب القانون ، ودرس بولع فلاسفة التشريع الغربيين ، ولكنه كان قد خُلِقَ للإصلاح عن طريق قاعات التعليم وصفحات الجرائد وليس داخل ساحات المحاكم وزنزانات السجون ، ولهذا ترك القضاء – برغم عدله فيه –

إلى المجتمع الأشمل بكل ما أوتى من عدالة له وانضم إلى الحزب الوطنى .

وقد كان هو حزب الأمة الوحيد الذى يحمل شعارًا قاطعًا ونافذاً هو « مصر للمصريين » كما انضم إلى جماعة العروة الوثقى بقيادة أستاذه الأفغانى ، والتى أصدرت جريدتها « العروة الوثقى » فى باريس لهدفين محددين وقوميين هما : محاربة الاستعمار بالقول والفعل ، أو بالحق والقوة ، والحفاظ على الوحدة الوطنية بين مسلمى الأمة ومسيحييها .

فإذا كان الإمام الشيخ « محمد عبده » قد تميز بالرحمة والعطف والإحسان كفضائل إنسانية واجتماعية ، وكان مصلحاً أخلاقياً مثاليًّا يجمع بين الإيمان إلى حد التصوف ، والعلم إلى حد العمل ، فقد كان فيلسوفاً إسلاميًّا يحيط بالفلسفة الإلٰهية ، ويهتم بصفة خاصة بالبحث عن الوجود ، فيتفق مع المعتزلة فى تحكيم العقل ، ويخالفهم فى فهم معنى العلوم ، ويتفق مع المتصوفة فى الرياضة الفكرية ، ويخالفهم فى مسألة الذوق والإلهام والوجدان ، ثم يتفق مع أرسطو فى أن الإلٰه هو المحرك الأول ، وهو أبدى لا أول ولا آخر ، ولكنه يرى أيضاً أن الإلٰه الحق هو الوجود الكامل المطلق ، لا يحده زمان ، لأنه خالق الزمان ، وهو القادر سبحانه .

الكواكبى
وفلسفة الاصلاح

١٨٤٨ - ١٩٠٢

الكواكبى وفلسفة الإصلاح
(١٨٤٨ - ١٩٠٢)

فى الرابع عشر من يونية عام ١٩٠٢ توفى بالقاهرة « عبد الرحمٰن الكواكبى » الذى كان قد وُلد بحلب قبل هذا التاريخ بأربعة وخمسين عاماً . التحق بمدرسة أجداده « الكواكبية » للعلوم الشرعية ، وتتلمذ على يد والده .. اتجه إلى الكتابة فى جريدة « الفرات » الأسبوعية وهو فى الثانية والعشرين من عمره ، وبعد خمس سنوات أنشأ جريدة « الشهباء » الأسبوعية التى تقرر إغلاقها بعد صدور عددها الثالث فقط . لم ييأس « الكواكبى » ، خاصة بعد أن رأس تحرير جريدة بديلة هى « الاعتدال » التى لقيت هى الأخرى المصير نفسه ، فاتجه « الكواكبى » إلى الوظائف العامة والمناصب الفخرية ، فَعُرِفَ بالجدية والنزاهة ، ثم عمل

بالمُحاماة ، ولقب « بأبى الضعفاء » لدفاعه عن المظلومين – مسلمين كانوا أو مسيحيين أو يهوداً – بغير تعصب ، ومن منطلق « الوحدة الوطنية » ولكنه سُجِنَ أكثر من مرة ، وحكم عليه بالإعدام ثم بالعفو ، فضاق بالاستبداد ورحل إلى مصر ليقول فيها بحرية كلمته الحرة على مدى السنوات الأربع الأخيرة من حياته القصيرة العريضة معاً .. كتب فى جريدة « المؤيد » ، ونشر كتابيه « طبائع الاستبداد » منددًا بحكم السلطان « عبد الحميد الثانى » و« أم القرى » منادياً بالقومية العربية، تحقيقاً ليقظة الأمة .

وهكذا يجىء « الكواكبى » بعد « الأفغانى » و « محمد عبده » ليستكمل مثلث ريادة الفكر الإسلامى ، وزعامة الإصلاح العربى ، فالكواكبى يدعو – وهو يفرق بين الشعوب الإسلامية والشعوب العربية – إلى إصلاح المسلمين دينياً واجتماعيًّا وسياسيًّا تمثلاً بعهد « الخلفاء الراشدين » ، وتمسكاً بتعاليم « الرسالة » و« الرسول الكريم » .. ويبدأ « الكواكبى » بتعليم وإرشاد وتثقيف المرأة جنباً إلى جنب الرجل ، تفادياً للانحلال ، وسبيلاً إلى الإصلاح ، مثلما نادى « محمد عبده » من قبل ، مختلفاً مع أستاذه « الأفغانى » الذى كان يركز اهتمامه على « العمل السياسى » من خلال « الكتابة الصحفية » فى جريدته « العروة الوثقى » .

وتفرد الكواكبى عن غيره من المصلحين فى محاولة تشخيص داء تخلف الأمة لإمكان تحديد الدواء وتقرير العلاج ، وأول داء فى رأيه عقيدة « القضاء والقدر » التى تفضى إلى الزهد والقناعة والتواكل ، وتقتل الإقدام والطموح والعظمة .. وداء آخر هو التعصب وعدم الاهتمام بمقولة « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » ، ثم داء الفقر الذى يقف فى مواجهته فرض « الزكاة » كأساس لبناء الاشتراكية .. والاشتراكية التى دعا إليها « الكواكبى » مبكرًا هى اشتراكية إسلامية ، تنبذ الاستبداد والعبودية ، وتقوم على الديمقراطية والحرية ، بحيث تصبح قادرة على إيقاظ الأمة الإسلامية ، بعد أن أسهم العثمانيون بقدر كبير فى تدهورها .

وكما أكمل « الكواكبى » بعد « الأفغانى » و« محمد عبد » مثلث « الإصلاح الاجتماعى » نراه يكمل مثلث « الإصلاح السياسى » بعد « ابن خلدون » و« الطهطاوى » ، فهو مثلهما يندد بالحاكم الديكتاتور ، سواء كان وارثاً لعرش ، أو قائدًا لجيش ، أو رئيساً لحزب .. كما يندد بالحكومة المطلقة التى لاتطبق مبدأ « الشورى » ، ولاتلقى بالاً لرأى المعارضة .. وهو إذ يسعى إلى إرساء مبادئ العدل والحق والإخاء والمساواة ضد قوانين الاحتكار وإطلاق الملكيات إنما يأمل فى إعلاء شأن الإنسان ، مواطناً أو مقيماً ، دون تفرقة

أو تمييز بالعزة والكرامة والفضيلة والشرف ، إيماناً منه بأن الشرق هو مهد الحضارات ومهبط الأديان .. حقًّا لقد جاد الزمان بشخصية « الكواكبي » على الأمة العربية ، فجاد عليها « الكواكبى » بفكره سلاماً وحرية وأماناً .

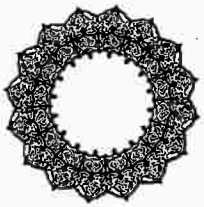

برجسون
وفلسفة الحرية

١٨٥٩ - ١٩٤١

برجسون وفلسفة الحرية
(١٨٥٩ - ١٩٤١)

فى الرابع عشر من يناير عام ١٩٤١ رحل الفيلسوف الفرنسى « هنرى برجسون » ، الذى ولد بباريس فى الثامن عشر من أكتوبر عام ١٨٥٩ من أب فرنسى وأم إنجليزية .. تلقى برجسون دراسته فى الليسيه ، ثم تلقى ثقافته فى مدرسة المعلمين العليا ، ومن هنا برز اهتمامه بالفلسفة والأدب اليونانى ، برغم تفوقه فى الرياضيات .. حصل على الأجريجاسيون عام ١٨٨١ ، وعُين أستاذًا للفلسفة بالليسيه ، ثم بمدرسة المعلمين العليا .. انتخب فى عام ١٩٠١ عضوًا بأكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية ، ثم عضواً بالأكاديمية الفرنسية .. رأس لجنة التعاون الفكرى التابعة لهيئة الأمم

المتحدة عقب تكوينها ، وحصل على جائزة نوبل فى الآداب عام ١٩٢٨ .

لم ينكر « برجسون » تأثره بالفلاسفة الذين سبقوه : « أفلاطون » و« سبينوزا » و« شوبنهاور » و« لوك » و« هيوم » و« مل » و« بركلى » ، ولهذا استطاع أن يجمع « ثقافة الإنسانية الفلسفية » جمعاء ، وإنْ تَمَرَّدَ على المذاهب المثالية المطلقة ، مما دعا « سارتر » – فيما بعد – إلى إقامة مذهبه « الوجودى » على « البرجسونية » أو فلسفة « الإنسان والزمان والحرية » وعلاقة كل منها بالديمومة .. فقد ظل « برجسون » قلقاً على مصير الإنسان ، ولهذا عمل على الكشف عن نسيج وجوده وطبيعة صلاته بالجسم والمادة ، والمكانة التى يحتلها فى عالم المخلوقات ، وموقفه من التاريخ القديم والحضارة الحديثة .. ووجد « برجسون » أن الفلاسفة قد خلطوا بين المكان والزمان ، ولهذا عرف الزمان بأنه جوهر الوجود . وتساءل عن مصير الإنسانية – بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى – واثقاً فى انتصار القيم الروحية ، ضد قوى الشر والانحلال ، ودعاة المادية والآلية ، وأنصار البغى والظلم والعدوان .. وهذا ما بدا جليًّا فى كتابه « الطاقة الروحية » .. وهنا قرر أن « الديمومة » هى نسيج الحياة ، ومن خلالها يستطيع الإنسان أن يقول : « أنا أحيا فى الزمان إذن فأنا

موجود » .. فإذا قلنا إن الأفلاطونية هى فلسفة المُثُل ، والديكارتية هى فلسفة الجَوْهر ، فإن البرجسونية هي فلسفة الديمومة ، وهذا ما ظهر فى كتابه « الديمومة والتأنى » .. واكتمل مذهبه عندما طلع عام ١٩٣٢ بكتابه الضخم « ينبوعا الأخلاق والدين » ، وهو دعوة للتصوف بعد أن اعتنق المسيحية الكاثوليكية ، وكان قد عاش حياته يهوديًّا غير متدين .

أما منهج « برجسون » فهو البحث عن « الحَدْس » أو ما أسماه « باسكال » بالقلب .. وقد حرص « برجسون » على التأكيد بأن حَدْسَه هو أقرب إلى التفكير العقلى الشاق منه إلى العاطفة الحسية المجردة .. وهذا ما فسره فى كتابيه « المادة والذاكرة » و« الفكر والتحرك » .. بهذا المنهج حقق نظريته فى « الديمومة » حتى إن « حدس الديمومة » عنده أصبح هو المحور الذى تدور حوله كل الفلسفة البرجسونية .. هذه النظرية وتلك الفلسفة تقودنا إلى « مشكلة الحرية » التى أثارها « برجسون » بعد أن أكد على « الأنا » أو « الذات » التى تحيا فى « الزمان » ، فالحرية عنده واقعة أولية ، وأن الفعل الحر بداية مطلقة ، وأن تلقائية الفعل الإرادى هى خير دليل على الحرية .

كما أن خير دليل على وجود الحركة هو التحرك نفسه ..

فالحرية ليست هي القدرة على الاختيار ، ولكنها النزوع إلى الاختيار المركب من العواطف .

وقد ظلت دراسات « برجسون » منحصرة فى نطاق علم النفس إلى أن شملت فى النهاية علم الحياة ، وعلم الكون ، والعلم الإلٰهى .. فهو يرى أن « الوجود » بالنسبة إلى الكائن الواعى إنما هو التغيُّر ، والتغير معناه النمو أو النضج ، والنضج هو أن يخلق الموجود ذاته بلا انقطاع . وهذه هى مرة أخرى « الديمومة » أو « الصيرورة » التى تشمل « الفعل » و« الشعور » و« الذاكرة » ، الذاكرة التى هى جوهر وجودنا ، لأنها امتداد الماضى فى الحاضر ، وهى التطور أو معنى الحياة من خلال ذلك الصراع المستمر بين الحياة والمادة .. أما خالق الحياة فهو الإلٰه الذى يستخرج الوجود من اللاوجود ، ويخلق « العالم » من « العدم » ، وتلك هى فكرة « القدرة الإلٰهية المطلقة » التى تَوصَّلَ إليها « برجسون » فى نهاية المطاف .

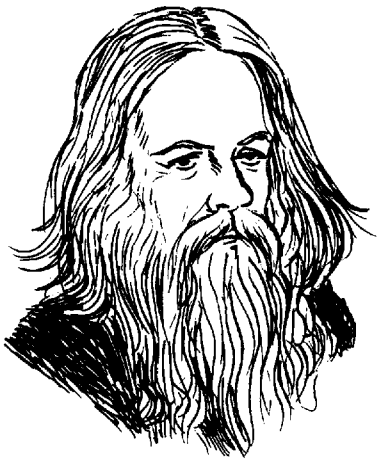

طاغور
وفلسفة الحب

١٨٦١ - ١٩٤١

طاغـور وفلسفـــة الحـــب
(١٨٦١ - ١٩٤١)

فى السادس من مايو عام ١٨٦١ ولد « رابندرانات طاغور » بكلكتا ، سليلاً لأسرة هندية من عِلْيَة القوم ، وأب كان زعيماً روحيًّا هو « ماهرشى ديفندرانات » .. كتب « رابندرانات » المقالات ونظم الشعر وهو فى الثامنة عشرة ، ووصلت مؤلفاته إلى أكثر من مائة وعشرين كتاباً ، بين قصة ورواية ، ومسرحية ، وديوان ، فضلاً عن عدد كبير من الصور الزيتية عرضت فى أهم عواصم العالم ، وثلاثة آلاف أغنية من تلحينه ، أبرزها نشيد الهند القومى .. أطلق عليه « غاندى » اسم « حارس الهند العظيم » ، كما أطلق عليه « نهرو » اسم .. إنسان الهند العظيم .. وتقديرًا لأعماله بما فيها من فكر وفن منح عام ١٩١٣ جائزة نوبل للآداب .. ولكنه

فقد فى فترة قصيرة متتابعة زوجته ، وابنته الكبرى ، وابنه الأصغر ، ووالده .. وتوفى « رابندرانات » فى السابع من أغسطس عام ١٩٤١ عن ثمانين عاماً .

قال عنه الشاعر البولندى « جانكوسكى » : إن طاغور واحد من القِلَّةِ التى وهبت أعمق الصلات بالله والحق والحقيقة المطلقة ، إنه يمضى فى الطريق إلى الله ، وإنه لأقرب الناس إلى حقيقته سبحانه . حقًّا ، فقد كان « طاغور » يحلم بقيام العالمية الحقيقية ، لأن الحياة فى رأيه عيد كبير تسهم فيه كل أمة بإضاءة مصباحها فى سبيل تطور المعرفة الإنسانية ، وتقدم الإنسان .. ولأن الفرد هو أساس المجموع ، فقد نادى « طاغور » بحرية الفرد منطلقاً للحرية الجماعية .. ولذلك كان دائماً ضد تقسيم الإنسان إلى طبقات – برغم ثرائه – بسبب المال ، أو الحسب ، أو الدين ، أو اللون ، ففى رأيه أنه ليس هناك إلا تاريخ واحد هو تاريخ الإنسان .

كان « طاغور » مربياً فاضلاً ، أنشأ المدارس النموذجية وأطلق فيها حرية التلاميذ والأساتذة .. وتتلخص فلسفته التربوية فى الحرية ، والتعبير الذاتى الخلاَّق ، والاتصال بالطبيعة ، والارتباط المباشر بالمجتمع .. كما تتلخص فلسفته الحياتية – وهو المصلح الملتزم الذى نادى بالعدالة الاجتماعية – فى أن الهدف الأوحد للحياة هو أن يسعى الإنسان نحو المعرفة

وتحقيق الذات .. وكذلك تتلخص فلسفته الإنسانية فى دعوته إلى السلام ونشر المحبة بين الناس ، وخاصة الفقراء منهم ، أو « أطفال الله الكبار » كما كان يسميهم .

أما فلسفة « طاغور » بشكل عام فقد كانت قائمة كلها على الحب ، قانون النفس العليا الذى يعانق الوجود كله ، وجود العالم فى الإنسان ، ووجود الإنسان فى العالم ، إذ يصبح الحب البشرى معبرًا إلى الحب الإلٰهى .. فالحب هو المعنى الأسمى لكل ما يحيط بنا .. فإذا كان نور الشمس يفتح باب الكون ، فإن نور الحب يفتح كنوز العالم ، ولذلك علينا أن نحب لكى نعمل ، وعلينا أن نعمل لكى نحب .. فالإيمان بالحب لايزعزعه ما قد يجلبه الحب من جراح وآلام ، لأن الحب هو بداية المعرفة ، كما أن النار هى بداية النور .. وحب « طاغور » يتجه إلى الإنسان والحيوان والنبات والطبيعة والحياة والموت ، حُبٌّ جَوْهَرُهُ البراءة والبساطة اللتان تجعلان الطيور وأوراق الشجر تبدوان قريبتين من قلبه قربهما من قلوب الأطفال .. وهو حب إلٰهى وإنسانى معاً ، ذلك أن المستشرف الأعلى وقد تجلى فى الإنسان ، فأصبح للإنسان قداسته .. وأصبح طبيعيًّا أن تحمل كلمة « طاغور » الأخيرة هذا المعنى الصوفى ، إذ قال « أبْدَأُ رحلتى خلو اليدين ، ولكن بقلب مفعم بالرجاء ، فأنا على يقين أنى سأحب الموت كما أحببت الحياة . »